سمات أدب الطفل في الجمهورية الجديدة

أ. منتصرثابت،

كاتب أدب ومسرح الطفل،

ومدير عام ثقافة الفيوم سابقًا

مقدمة

عندما نتحدث عن سمات أدب الطفل في الجمهورية الجديد فإننا نتحدث عن سمات أدب طفل نأمل أن يتحقق في حقبة جديدة من تاريخنا، هي ما نطلق عليها الجمهورية الجديدة.

تعبر الجمهورية الجديدة عن حقبة جديدة في تاريخ مصر الحديثة في فترة ولاية الرئيس عبد الفتاح السيسي رئيسًا لجمهورية مصر في أعقاب حكم الأخوان المسلمين لمصر وثورة ٣٠ يوليو، ثم البدء في بناء مصر جديدة، ترتكز أساسًا على تنمية الإنسان تنمية شاملة: فكرًا، وحياةً، وسلوكًا، وقيمًا، وتمتعًا بكرامته وحريته، وحقه في حياة كريمة لائقة تتوحد فيها مؤسسات الدولة لتقديم الأفضل له، وبخاصة في الصحة والتعليم والسكن، والنهضة العمرانية والجمالية والعملية من حوله، والتي تتميز بمدن عالمية جديدة، مثل: العاصمة الإدارية، والعلمين الجديدة، وغيرها، إلى جانب الاهتمام بعواصم المدن القديمة وتهيئة حياة كريمة لقرى مصر، في ظل مبادرة رئاسية شاملة عدت من أكبر المبادرات شمولية وتكامل في العالم، مبادرة (حياة كريمة).

في هذه الجمهورية الجديدة كان لا بد من أن يتمتع الطفل بطفولته، ويحصل على حقوقه الإنسانية في كل مجالات الحياة كما ينبغي. هذا الطفل الذي يُعَدُّ ليمسك بزمام المستقبل، ويقود البلاد للرخاء والتقدم والإنماء؛ لذلك كان على الجمهورية الجديدة أن ترسخ لعقلية جديدة للطفل، تطلق طاقاته المبدعة، وتفسح المجال لخياله المحلق؛ ليقدم حلولًا غير نمطية لقضايا مجتمعه، ويبتكر وينتج كل ما من شأنه أن يعيد مصر إلى ريادتها وتقدمها وازدهارها.

من هذا المنطلق كان من الضروري أن يتواكب أدب الطفل مع أفكار الجمهورية الجديدة وتطلعاتها وأن يُفرز أدبًا مختلفًا له سمات خاصة؛ لكي تساهم في نمو وتكوين شخصية متميزة للطفل العربي والمصري بصفة خاصة، سمات نأمل أن يتربى عليها طفلنا وتصبح جزءً أصيلًا من شخصيته، هذه السمات هي سمات أدب الطفل في الجهورية الجديدة.

السمة الأولى: أدب يعبر عن واقع مختلف ينشئ الطفل على الحرية، ويحترم الإنسان، ويحترم حقوقه وحريته.

هذه هي سمة الحرية التي نريد أن نربي عليها أطفالنا. إن الطاعة التي تجبر الإنسان على أن يفعل أشياء ضد رغبته وتسلبه حريته تتحول إلى لعنة، هكذا تحدثنا رواية (إيلا المسحورة)، للكاتبة الأمريكية (جيل كارسون). الرواية هي رحلة البطلة في سبيل أن تطرح عنها هبة الطاعة التي تسلبها إرادتها وحريتها، حتى لو بدت الطاعة شيئًا جميلًا محببًا من الخارج، بل تتحول إلى لعنة تكاد تكون محل خطورة على الوطن كله.

نفس التيمة المحورية في رواية (الأسير)، للكاتبة الإفريقية (جويس هانسن)، حيث يُخطَف البطل وهو ابن زعيم إفريقي، ليباع كعبد في البلاد الجديدة. إنه يرفض هذه العبودية، ونفسه الحرة تأبى أن تخضع للأمر الواقع. إن الحرية إحساس داخلي وإيمان ينبُع من الفرد ذاته. إن (كوفي) بطل الرواية يرفض العبودية ويتعلم لغة البلد الجديد؛ لينال - بالمعرفة والإرادة والتحدي وتحمُل الصعاب - حريته في النهاية، ليعيش رجلًا حرًا يهب نفسه للدفاع عن حرية الأفارقة في البلاد الجديدة.

الحرية هي السمة الأولى التي نريد أن نغرسها في أطفالنا. قيمة الحرية هي القيمة الأكبر منذ خلق الإنسان وبدونها يفقد الإنسان منزلته كما يفقد نفسه. لا نريد أطفالًا كالببغاوات تقول ما نقول، نريد أطفالًا تناقش وتعترض وترفض لكي تقدم بدائل تناسب عصرها وتفكيرها، أطفال تنتمي إلى الوطن بالحب والإقناع، وليس بالترديد والإجبار.

أدب يحترم حقوق الطفل

كم أتمنى أن يكتب كتَّابنا في الجمهورية الجديدة عن تلك الحرية التي يناضل من أجلها الإنسان وتهون أمامها كل الصعاب والتضحيات، أدب يحترم حرية الاختلاف وحرية الرأي وحرية التعبير دون تمييز وبصرف النظر عن أين يعيشون وأي لغة يتكلمون، وما هو دينهم أو شكلهم أو جنسهم، ودون تمييز بين الأسوياء والمعاقين، الأغنياء والفقراء، حق كل طفل في الحياة والهوية والحماية والخصوصية ومتطلبات الحياة، من: الصحة، والرعاية، والماء والغذاء، والبيئة، والملبس، والمأوى الآمن، والتعليم، وغير ذلك مما أقرته المواثيق الدولية.

السمة الثانية: أدب يثمن الاختلاف، ويجد فيه ثراءً وغنى، ويدعو إلى قبول الآخر في الرأي والجنس واللون والعقيدة والثقافة.

فالاختلاف هو القيمة الأعلى في الآداب العالمية، كما أن قبوله وتثمينه والاستفادة منه هو محور الروايات الكبرى في البلاد التي تتعدد فيها الأعراق أو الثقافات أو العقائد أو اللون والجنس. احترام الاختلاف وقبول الآخر هو صنو للحرية، وهو الممارسة التطبيقية لها، ممارسة فعلية للديمقراطية ومعالجة القضايا بالفكر والرأي والرأي الآخر.

في رواية (العصار)، للكاتب الحائز على جائزة نيوبري (جيري سبينللي) نجد الآخر مجرد حمامة الطائر الوديع في مدينة تكره الحمام، وتكون علامة وصول الأولاد فيهم إلى سن الفتوة، هو مهرجان ضخم تُطلق فيه أسراب الحمام؛ لكي يجري خلفها الأولاد البالغون ويقومون بقضم رقابهم. بطل القصة تقوم علاقة صداقة بينه وبين حمامة، ويظل يقاوم مخاوفه وصراعه النفسي، حتى ذلك اليوم الذي ينبغي أن ينزل فيه إلى الملعب الكبير ليقوم باصطياد الحمام، وقضم رقابها. لكن صديقته الحمامة تهبط إلى رأسه في وسط الملعب. لقد تعرفت عليه، وعليه أن يثبت رجولته وفتوته أمام الحشد. هل يقبل هذا الطائر المختلف الوديع أم ينتصر لإنسانيته وعواطفه. إن انتصاره في هذا الصراع لصالح الحمامة هو انتصار للسلام وقبول الآخر، والتعايش الآمن، وتنتهي الرواية بحماية البطل لهذا الآخر، والاعتراف به وسط تلك الحشود؛ مما يفتح أبواب الأمل للسلام والمشاعر الإنسانية الحقة في المدينة، حين يهلل البعض له، ويحمل طفلًا صغيرًا حمامة وديعة، ويسير بها في وسط الملعب.

أما رواية (السفر على الزمن)، للكاتبة (مادلين لانجيل)، فهي تقدم بعدًا أكثر اتساعًا للآخر. إنه ذلك الذي نظنه أكثر بطئًا في نموه العقلي أو من ذوي الاحتياجات الخاصة، ثم تتسع دائرة قبول الآخر لتشمل صداقات من قوى الكون التي تتعاون للخير، وتشكل قوة ضد قوى الظلام والبرودة والآلية والشر. إن السلاح الوحيد الذي لا تملكه تلك القوى الشريرة ليس القوة ولا العلم والمعرفة. هذا السلاح هو الحب. الحب فقط الذي نملكه إزاء الآخرين، والذي لا يستطيع أحد أن يهزمه، فهو القادر أن ينتصر على قوى الشر الرهيبة، ويجعل في الاختلاف ثراء وغنى، ويجعلنا نقبل الرأي الآخر، بل وندافع عنه. إن قبول الاختلاف هو إثراء لدائرة القدرات التي نملكها، وهو تعاون بين كثيرين يفتح مجالات واسعة للعمل والإنتاج وتحقيق الإنجازات معًا.

السمة الثالثة: أدب يطلق العنان للخيال والإبداع والابتكار للطفل.

يظل الخيال هو العالم الموازي لما يقدمه العلم والتكنولوجيا الحديثة، بل إن الخيال كان وسيلة الإنسان الأولى في التحكم في العالم قبل أن يحقق منجزاته العلمية. بالخيال جعل كل قوى الطبيعة في شكل فني يستطيع أن يتحكم فيه. هكذا كانت تماثيل الريح والمطر والنهر والعاصفة والبرق والرعد. هكذا تخيلها الإنسان في بداية حضارته أشكالًا فنية يستطيع أن يتكلم إليها ويكتب لها أول أدب عرفه الإنسان، وهو الأناشيد الدينية، وأول رسم ونحت متصورًا أن ما يتحكم فيه في عالمه الموازي يمكنه أن يتحكم في عالمه الواقعي. حتى أن رقصات الشعوب البدائية لم تكن إلا عالمًا موازيًا لما يريدون أن يحققوه في عالمهم الواقعي. هكذا صمم خيال الإنسان تلك الرقصات، وكأنها حرب بين قبيلته والقبيلة الأخرى، وعندما ينتصر في رقصته، فهذا نذير لانتصاره في معركته. قس على هذا في رقصات الزواج والمناسبات المختلفة.

إن الخيال سبق العلم في منجزاته التي تحققت بعد ذلك، فقصص (ألف ليلة وليلة)، وقصة (الجميلة والوحش)، ورواية (رحلة إلى مركز الأرض)، لـ (جول فيرن) الفرنسي، و(أول رجال على سطح القمر)، لـ (هربرت جورج ويلز) الإنجليزي، سفينة الفضاء سبقت إليها رواية (ويلز)، أجهزة التواصل الرقمي سبقتها مراية الجميلة والوحش، والطائرة سبقتها قصة (البساط الطائر) في حكاية (علاء الدين والمصباح السحري)، وأجهزة التليفزيون والغواصات والسيارات التي تطوي الآفاق بسرعتها، حكت عنها قصص ألف ليلة وليلة في حكاياتها التي نسجتها من الخيال، وطوى بها الجبال والوديان حسن البصري؛ ليصل إلى محبوبته.

لا بد أن نقدم للطفل ذلك العالم المدهش الذي يفتح تفكيره خارج الصندوق ليبدع ويبتكر، ذلك العالم المدهش من الخيال وعدم التوقع والإثارة والدهشة يدعوه إلى ملء فراغات العمل الفني بخياله ووجدانه وعقله، ويساعده على طرح الأسئلة والبحث عن الإجابات، هذا إذا كنا نريد طفلًا مختلفًا في الجمهورية الجديدة. إن ما وصل إليه العلم الحديث والمنجزات التكنولوجية العظيمة كانت مجرد خيال نحلم به ونتمثله عالمًا غرائبيًا، إلى أن تحقق، بل وجاوز خيالنا. لا بد أن ندفع الطفل إلى خيال أكثر رحابة (رواية السفر في الزمن).

علينا ألا نسرف في ترديد القول: إننا في عصر أصبحت الكلمة العليا فيه للعلم والتكنولوجيا ولا دور للخيال فيه، علينا أن ندفع أيضًا مقولة: إن هذه الكتب الخيالية كتبت في الماضي. إن رواية (إيلا المسحورة) بعوالم الجنيات والغيلان والحيوانات التي تتحدث هي الرواية الفائزة بجائزة (نيو بري)، والتي تحولت إلى فيلم سينمائي حاز شهرةً ونجاحًا كاسحًا.

كذلك سلسة (هاري بوتر) التي تحكي عن الصبي الساحر وحروبه مع سيد الظلام، وأعماله المغرقة في الخيال، والتي تحولت إلى ثمانية أفلام حققت نجاحًا باهرًا، حتى أن الكتاب السادس من السلسلة (هاري بوتر والأمير الهجين) بيع منه عشرة ملايين نسخة عشية صدوره. عشرات الأمثلة تؤكد أن الخيال هو الذي يفتح الطريق أمام العقل؛ ليتقدم وينتج، ويبدع ويبتكر.

السمة الرابعة: أدب لا يغفل التطور العلمي والتكنولوجي الرهيب، ويحترم العلم ومنجزاته ويستخدمهما، كما يحترم ذكاء الطفل ويقدره.

فلا بد من الاعتراف أن طفل اليوم لم يعد هو طفل الأمس. إنهم يطلقون عليه الطفل الرقمي، الطفل الذي نما وكبر في أحضان التكنولوجيا الحديثة، والكثير منا يرجع لأولادنا وأحفادنا في التعامل والاستفادة من هذه التكنولوجيا. نطلب منهم مساعدتنا في استخدام التقنيات الحديثة والتعامل مع الكمبيوتر والموبايل والأجهزة الرقمية. لا بد أن نستبدل بتلقين الطفل تقديمَ أدب للطفل يدفعه إلى التفكير والبحث والتفاعل الإيجابي مع ما يقدم إليه. لقد أصبحت التكنولوجيا حتمية الوجود في حياتنا وحياة أطفالنا، وعلينا أن نرشدها ونضبط استعمالها لصالح أطفالنا، ودفعهم للبحث وتطوير المهارات، واكتساب المعارف والخبرات، وتأكيد مسئوليتهم في اختيار ما يرونه صالحًا لحقلهم الدراسي والمعرفي، وصقل مواهبهم وإبداعهم.

هذا الطفل لا يجب أن نعامله كشريحة سنية تتطلب منا التبسيط إلى حد السذاجة أو التعامل معها على أنها في مرحلة بدائية من التفكير والمعرفة والنضج. لقد نضج أطفالنا قبل أوانهم بسبب الطفرة التكنولوجية التي نعيشها في الحقبة الأخيرة، وأصبحت معارفهم تفوق شريحتهم السنية في زماننا بمرحل ضخمة؛ لذا علينا أن نحترم ذكاء أولئك الأطفال، ونقدم لهم أدبًا يواكب التقدم العلمي والتكنولوجي الذي نعيشه، ويتعامل معهم ككبار يستطيعون فهم المدارس الحديثة واللغة الحديثة والتقنيات الحديثة. كما يمكن لهم فهم المواضيع ذات العمق المعرفي، والتي تحتاج إلى ذكاء وإلى نضج.

في رواية (الأبناء لهم أجنحة) قدم الكاتب يعقوب الشاروني رؤيته في كيف نتعامل مع العالم الرقمي؟، وكيف نستفيد منه؟، وكيف يعطي هذا العالم إمكانيات غير مسبوقة لطفل اليوم؟، وبدلًا من الانعزال في جزر افتراضية يقودنا هذا العالم الرقمي إلى التواصل بين عالم الكبار والصغار. إنها نظرة جديدة تمامًا ومعاصرة تمامًا ومواكبة لمشاكل وقضايا عالم اليوم، وليست في غيبة عنه وعن تطوراته. لم تكن رسائل يعقوب الشاروني مباشرة وخطابية، لكنها انتظمت فيها عناصر الشكل الجمالي الخالص، بكل من: الخيال، والإثارة والتشويق، والمعالجة الفنية، والتقنيات الحديثة في الكتابة، والاستفادة من المدارس النقدية

والنفسية في معالجة قضايا الطفل التي تضخمت وتشعبت مع ثورة الاتصالات والعولمة والعوالم الرقمية والعوالم الافتراضية، ومشاكل القرية الكونية الكبيرة، والجزر الذاتية المنعزلة.

كذلك تقدم لنا رواية (وحش الشوك الأزرق) نموذجًا في المعلومة العلمية والتدقيق العلمي الذي يحترم فيه يعقوب الشاروني عقل قارئه الصغير، وكيف يدخله في بنيته الروائية فيصير جزءًا لا يتجزأ منها، ليترك المتلقي الطفل يستخلص بنفسه الرسالة الإنسانية العميقة الذي يريدها أن تصل إليه. إن مغامرة إنقاذ طفلة كانت تغوص بين الشعب المرجانية وحطام سفينة غارقة منذ الحرب العالمية الثانية تتصاعد إلى تعرُّض منقذها لخطر المواجهة مع أخطبوط رهيب في أعماق الماء وداخل الحطام. هذه المغامرة التي تثير كل أحاسيس القارئ وانفعالاته في تصاعد أحداثها، وترقب صراعها، وعمق رسالتها يقدم فيها الشاروني نموذجًا في تقديم المعلومة العلمية الدقيقة، والتي تحترم عقله. إنه يشرح كيف يتم تثبيت السفينة التي تقل الغواصين من الفتيان والفتيات، وهي على سطح الماء بحبل الغطس والطفو المصنوع من الصلب إلى عمود بسطح السفينة الغارقة، ثم تتوالى معلوماته عن (خيط الأمان) الذي لا يفارق كل مدرب غطس، وأهميته، ثم عن الغوص وقناع الغطس، وما يجب على الغواص من الانتظار دقائق قبل الصعود إلى السطح؛ لئلا تتسبب فقاعات الهواء التي تكونت في دم الغواص أثناء تواجده في الأعماق من إصابته بالشلل أو الإيذاء، وعندما تحدث المواجهة بين ملك الغطس والأخطبوط يقدم لنا معلوماته الدقيقة عن هذا الكائن الفتاك، والقاتل المحترف الذي يسكن أعماق البحار. إنه بتلك المعلومات يزيد من الحصيلة المعرفية لقارئه، وفي ذات الوقت يقدم لنا أفضل أنواع الصراع الدرامي، وهو الصراع المرتقب أو المرهص حين يتعرف القارئ على قوة الخصم الذي سيواجهه ملك الغطس، عندئذ يتوقع كيف سيكون الصراع رهيبًا معه؟، كل هذا دون أن يضيع المغزى والهدف من القصة بين المعلومة ذات الصلة بالعلم الحديث ومنجزاته، والمغامرة المثيرة. إن هذه القصة التي تجمع أبطالها من دول مختلفة ترسخ لقبول الآخر. إنها الإنسانية الرحبة التي تؤكد أننا أبناء عالم واحد كما ذكرت (كلارا) بطلة قصته في رسالتها إلى ملك الغطس منقذها.

على أدب الطفل أن يتواكب مع هذه الطفرة العلمية التكنولوجية بأدب يُقدم بأكثر من واسطة رقمية. أدب قادر أن يصل للطفل عبر هاتفه الخلوي وأجهزة الكمبيوتر الصغيرة المتحركة معه، وعبر وسائط وتطبيقات حديثة جاذبة للطفل، محببة إليه وقادرة أن تنتزعه بإثارة وتشويق واقتناع من المواقع الخطرة والمؤذية إلى عوالم الطفل الجميلة المدهشة. إن القصص المسموعة والقصص التفاعلية وقصص مغامرات البحار والفضاء التي تتيح للطفل المشاركة في أحداثها ثم عالم الميتافيرس وما يشابهه، والذي يستطيع فتح آفاق جديدة لإبداع جديد للطفل، كل هذا ينبئ عن أدب طفل جديد في جمهورية جديدة.

السمة الخامسة: أدب يربط التراث والهوية، مستخدمًا مفردات العصر والتقدم التكنولوجي في هارموني منسجم.

لا غنى عن تقديم تراثنا القومي سواء كان مصريًا ينتمي إلى عصورنا القديمة الفرعونية وما بعدها، أو تراثنا العربي بأدبه الوافر ذي القصص والحكايات الثرية بالواقعية السحرية، والأدب الغرائبي للطفل في الجمهورية الجديدة.

التراث هو الأرث الذي تركه الأجداد للأبناء والأحفاد. إنه مجموعة من الموروثات التي تم نقلها من الأجيال السابقة إلى الجيل الحالي، وتختلف وتتعدد من موروثات مادية مثل ما تركه لنا الأجداد من معابد وعمارة ومعدات وأدوات ورسوم ومخطوطات وأشغال يدوية وفنية تنوعت باختلاف الحقب التاريخية، وكذلك موروثات معنوية، مثل: العادات والتقاليد، والأدب الشفاهي والشعبي والمعتقدات، والتي تشكل في مجملها ما يميز شعب عن آخر وحضارة عن حضارة، وتعطي خصوصية يفخر بها كل شعب، وبخاصة نتاجه الفكري والفني والأدبي والمعماري الذي يخلده الدهر، وهي القيمة الحضارية الأسمى. وإذا انتمى الطفل لتراث عظيم إنسانيًا ومعنويًا وخالدًا فإن هذا من شأنه أن يغرس بداخله المعرفة به، والإلمام بتاريخه، والذي بدوره يعمق الهوية والانتماء لهذا الوطن الثري بحضارته وعطائه، والذي تشهد آثاره وتراثه عن مجده التليد، كما أنه شأن أي تراث إنساني يدعم القيم السامية ويجعل منه مواطنًا صالحًا فخورًا بوطنه، منتميًا له قلبًا وقالبًا.

لعب التراث دورًا محوريًا في تقديم القصص والحكايات والأساطير للشعوب المختلفة؛ ليغرس بداخلها قائمة بالقيم والأخلاق والسلوكيات والمعتقدات التي من شأنها أن تمنهج حياة الشعوب، وتكون لها هاديًا للسير بها، والتمثل بما فيها من حكمة ورسالة إنسانية سامية، دون وعظ وخطابة تلفظها النفس الإنسانية، ولم تكن قصص الطير والحيوان وحكايات (أيسوب) و(لافونتين) وغيرها، إلا قصص لتوجيه الحكام والأمراء والكبار بشكل عام لإكسابهم الحكمة والسياسة دون مباشرة، وحتى قصص ألف ليلة وليلة التي تداعب الخيال والوجدان، وتحمل المتعة والتشويق ما هي إلا حكايات للكبار تصور العصر والمكان الذي كتبت فيه، وتتحدث عنه، وهي توثيق لتاريخ وجغرافيا ومجتمع وحضارة، وعندما تقدم قصص هذا التراث للطفل فإنها تربطه بماضيه وبتاريخه، وكيف كان يعيش أهله، وكيف كانت عاداتهم وتقاليدهم، وماذا كانت أفكارهم، وما القيم الرفيعة التي نشأوا عليها وتوارثناها لنحتذي بها وننتمي من خلالها للوطن.

لكن الرؤية المستقبلية تبحث في كيفية تقديم أدب طفل بشكل حديث لذلك الموروث الأدبي العظيم والوافر؛ لكي يتلاءم مع طفل اليوم الذي يتعرض لزخم إلكتروني يتقاطر عليه من الوسائط الحديثة. الرؤية المستقبلية تحقق المعادلة بين ما يريد الكاتب أن يقدمه للطفل من

رسالة قيمية ومعرفية، وبين الشكل الجمالي الذي يستخدم التحول الرقمي؛ لكي يقدم للطفل منتجًا أدبيًا قادرًا على جذب اهتمام الطفل، وانتزاعه من الوسائط الإلكترونية الأخرى إلى عالم القراءة، والتفاعل مع النص الأدبي مستفيدًا من تقنيات التحول الرقمي، وتقديم التراث بشكل معاصر يستفيد من المنجز العلمي والتكنولوجي.

رواية (إيلا المسحورة) نموذجًا

رواية (إيلا المسحورة)، للكاتبة الأمريكية (جيل كارسون)، والتي تحولت إلى فيلم سينمائي حقق نجاحًا كبيرًا، مأخوذة عن القصة التراثية (سندريلا)، والتي تعود أيضًا إلى تراث فرعوني قديم. تلك القصة التراثية التي انتشرت شرقًا وغربًا بتيمات وحبكات مختلفة، لكنها تحتفظ بخطوطها الأساسية في زوجة الأب القاسية، والابنة التي فقدت أمها وقاست الآلام من بعدها، وابنتي زوجة الأب الحاقدتين، والأمير الجميل الذي يريد أن يتزوج سندريلا، وتحاول زوجة الأب وابنتيها منع ذلك مع أب منشغل عنها. لقد قدمت (جيل كارسون) الرواية، وكأننا أمام رواية جديدة. إن إيلا الجديدة ليست سندريلا القديمة، سندريلا راضية لما يحدث لها، سلبية في مواجهة قدرها، أما إيلا الجديدة فهي ترفض لعنتها، وترفض قدرها، وترفض أن تكون سلبية في مواجهة ذلك، إنها تتسلح بالمعرفة، وتتعلم لغة الحيوانات والغيلان، وتكتسب معارف جديدة؛ لتنتصر بها في معاركها. إيلا ترفض أن تتزوج الأمير؛ لأنها تخشى أن تستثمر ذلك أختاها ضد الوطن، وعندما يصبح حب الوطن والتضحية من أجله هو القيمة الأعظم تنفك اللعنة عن إيلا. الرواية تقدم لنا سمات أدب طفل نتمنى أن يكون في الجمهورية الجديدة، طفل إيجابي يرفض الخنوع والاستكانة، ويتسلح بالمعرفة، يحب وطنه ويضحي من أجله. أدب طفل يرسخ لقوة الإرادة وقدرة المعرفة على انتصار الإنسان في معاركه.

السمة السادسة: أدب لا ينفصل عن العالم، وعما يكتبه العالم، وعن المدارس الحديثة في الكتابة والنظريات النقدية، أدب يعتمد على فهم سيكولوجية الطفل، وما ينبغي أن يقدم له، وكيف يقدم.

في الروايات العالمية الجديدة التي تقدم للطفل نصافح أدبًا لا يقل في استخدامه لجماليات السرد وتقنيات القصة الحديثة ومدارسها الجديدة عن ذلك الأدب الذي يكتبه كبار كتاب العالم لقارئهم الكبير. أدب يعتمد علم النفس وتحليل الشخصيات والتعامل الفني الناضج مع الشرائح السنية المختلفة للطفل، هكذا نقرأ في رواية (العصار) التي تدور حبكتها حول ذلك الصراع النفسي الذي ينمو يومًا فيومًا في داخل الطفل كلما اقترب من بلوغ سن العاشرة، هذه المرحلة العمرية التي يكون فيها الصبي مستعدًا لأن يأخذ مكانه مع أقرانه قاضمي رقاب الطيور والحمام في احتفال سنوي للمدينة كلها في الملعب الكبير، حيث يُطلق

الحمام وتُقضم الرقاب، فذلك شرف للطفل وتقليد للمدينة التي ترى في ذلك أن الطفل قد نضج، بل وأصبح بطلًا بقضم رقاب الحمام. إنه لا يريد أن يكون قاضم رقاب للطيور؛ لذلك لم يكن يعتبر أن عيد ميلاده العاشر حدثًا يتطلع إليه، بل حدثًا يخشاه. إنه لا يستطيع الإفصاح عن ذلك، ولكنه لا يستطيع أيضًا أن يوقف الزمن الذي سيصل به لا محالة إلى عمر العاشرة، كما أنه لا يستطيع أن يمتنع عن الذهاب للاحتفال طبقًا للعادات والقاليد. ذات يوم ينقر على نافذة غرفته زائر، آخر زائر يتوقعه ولا يريده، كان الزائر حمامة تلتصق في حب وألفة معه، وتنشب بينهما صداقة فريدة، ويقترب عمره من العاشرة ومن الاحتفال السنوي ليذهب إلى الملعب ليقضم رقاب الحمام، لكنه لا يفعل وفي وسط ذلك الصراع النفسي بين هذا الرفض السلبي والفعل الإيجابي الذي ينتظره الجمهور، تهبط عليه الحمامة صديقته، وتقف على كتفه وسط هتاف الجماهير الشغوفة إلى الدم وقضم الرقاب، ويتعالى الصراع النفسى بداخله، وكان عليه أن يعبر أزمته النفسية، ويضع حدًا لخوفه، وأن يرتفع لمستوى ما يؤمن به.

كذلك يستخدم يعقوب الشاروني تقنية الرمز في قصته (مرمر وبابا البجعة)؛ للإشارة إلى ذوي القدرات الخاصة، ووجوب تكاتف المجتمع معهم؛ لإبراز قدراتهم الخاصة.

وإذا كان (فرويد) قد اكتشف القارة السوداء، وهي عالم الإنسان الداخلي الذي يوجه سلوكه دون أن يدري، فإن الشاروني استخدم تقنيات علم النفس الحديث، ليناقش سلوك القرية المصرية؛ ليطل منها على قضايا قومية تتعلق بمصر كلها، (منيرة وقطتها شمسة)، إن قسوة زوج الأم وأثر الطلاق على منيرة، والخوف من الطرد أثرت على منيرة، فتصاب بحالة نفسية، لا تتحدث وكأنها خرساء، ووجهها جامد بلا تعبير. إن القطة التي يطردها الجيران تتوحد مع منيرة، وترى منيرة في القطة صورة منها، فتحتضنها وتدافع عنها، ونصل إلى الذروة النفسية عندما تعض القطة الجد فيقرر طردها، عندئذ تتفجر عقدة منيرة، فهي لم تقصد أن تعض زوج أمها حين كان يضربها بقسوة، إنها كانت تدافع عن نفسها، إن القطة لم تقصد عض الجد، كما لم تقصد منيرة، وتحتضن الأسرة منيرة، ويتقرر بقاء القطة.

تكتمل في رواية (الأسير) التقنيات الحديثة من استخدام: الرمز، والمجاز، والتناص، والسخرية، والمدارس النفسية والنقدية في رواية واحدة تقدم للطفل، وتحترم ذكاءه، وترسخ فيه قيم: الحرية، والاختلاف، والموضوعات الجادة العميقة.

السمة السابعة: أدب يعتمد لغة جديدة، وكتابة جديدة، وموضوعات جديدة، وقضايا تهم الطفل، وتتشابك معه.

كم نحتاج في جمهوريتنا الجديدة إلى أدب يتماس مع الطفل، ويلج عوالم جديدة وموضوعات جديدة تهم الطفل، وتتشابك معه ومع قضاياه وواقعه الجديد، بمتغيراته الجديدة، وعصره الرقمي، موضوعات تخص مثلًا المشكلات التي يمكن أن تطرأ من الميديا الحديثة، وما يمكن أن تسببه من أمراض وحوادث، مثل الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي، والذي يعرف بإدمان مواقع التواصل الاجتماعي، أو إدمان السوشيال ميديا، وهو مرض العصر لما يسببه من أمراض: نفسية، وعصبية، واجتماعية، وعضوية، وما ينتج عنها من: اكتئاب، وعدوانية، وعزلة، وتأثر الفقرات العنقية والقطنية، ناهيك عن المواقع الإباحية، ومشاكل التحرش، والتنمر، والاعتداء، والإتجار بالأطفال واستغلالهم.

كما أصبح الاعتراف بوجود مشاكل في: المخدرات، وتناول العقاقير، والغش الجماعي للشريحة العمرية المدرسية ضرورة حياتية لكي نستطيع مواجهتها ومعالجتها.

من هذه المواضيع الجديدة التي تدعو إلى مناقشتها من خلال أدب الطفل التحرش الجنسي على الطفل في سنواته الأولى، والتدخين المبكر، وانتشار عادات سيئة بين الشباب والشابات، كالشيشة والسجائر الإلكترونية، والألعاب الخطرة والقاتلة، الدروس الخصوصية.

لقد نجح الكاتب الكبير يعقوب الشاروني في استخدام أدب الطفل في الولوج إلى مشاكل وقضايا حقيقية في مجتمعنا بشمولية وعمق، مثل: قضية أطفال الشوارع والمناطق العشوائية، وذوي الاحتياجات الخاصة، والمناطق النائية والصحراوية، والتحول الرقمي، وذلك من خلال قصص مثيرة، وحبكة درامية جيدة، ومعلومات علمية صحيحة ودقيقة.

حتى مشاكل فتاة القرية لم تغب عن بال كاتبنا، لقد جاءت رجاء في (متمردة في بيت الطالبات) من القرية إلى المدينة لتدرس، لكن هذه الفتاة المتفوقة في دراستها لا تلبث أن تؤجل بعض المواد للعام التالي؛ لنكتشف أنها تهرب من الزواج الذي تريد الأسرة أن تفرضه عليها دون إرادتها، ويطرح (الشاروني) بقوة حق الفتاة المصرية المعاصرة في تقرير مصيرها واحترام آدميتها.

وتتعدد مستويات القراءة أيضًا في رواية (حسناء والثعبان الملكي)، القراءة الأولى مغامرة لفتاة بدوية داخل الصحراء الشرقية لمصر في منطقة كانت منجم ذهب قديم، لكن بقراءة أعمق نرى هذا المنجم رمزًا لما يمكن أن تكون عليه هذه الصحراء لو أحسن استغلالها. إنها قضية قومية حول الصحراء التي تشكل ثلثي مساحة مصر، ونحن نتركها

صحراء جرداء، وفي وسعنا أن نجعلها مشروعًا قوميًا يستوعب شبابنا المهدد بالبطالة والتطرف.

ومثلها قصة (معجزة في الصحراء) التي تلقي الضوء على مفردات الحياة البدوية، وترصد تقاليدهم وعاداتهم، بل حتى ملابسهم، بدقة فريدة، في ذات الوقت التي تناقش فيه مشاكلهم ومعاناتهم في الحصول على الماء دون أن يتم ذلك على حساب الشكل الجمالي للرواية، أو ينتقص من المتعة الفنية والمغامرة المثيرة التي تحكي عنها، أو يشعر القارئ بأن هناك معلومة أو جملة زائدة قطعت تدفق وتتابع الأحداث.

نحن في حاجة لأدب يناقش قضايا جادة هي من صميم اهتمام الطفل، لكي تتناقش معه، وتفكر معه، وترفع من وعيه ومعرفته، وتربطه أكثر وأكثر بوطنه وتاريخه وقضاياه.